نحن نفهم الديمقراطية على أن كل فرد في هذا الوطن يستطيع أن يعبر عن رأيه بـــصراحة. وأن ينتقد أيضا في حرية من غير أن يخشى أحدا.....

لا يخشى حاكما ولا يخشى إقطاعيا ولا يخشى رأسماليا ولا يخاف التهديد في رزقه أو معاشه أو أبنائه.....

هذه هي الديمقراطية الحقيقية التي أرادتها الثورة للشعب والتي أرادها الشعب لنفـــسه... الـــشعب الذي ثار في ٢٣ يوليو للقضاء على نظام حكم متعفن فاسد.

ومن أجل ذلك لم تسارع الثورة إلى إنشاء مجلس شيوخ ومجلس نواب. ولم تهتم الثورة بأن تنشئ هذه المجالس في الخطوات الأولى من هذه الثورة، لأن الأهم من إنشاء هذه المجالس هو تخليص الشعب من كل ما يعوق تقدمه ومن كل ما يمنع حريته...

الديمقراطية الحقيقية هي أن يكون لكل مواطن الحق في إبداء رأيه في حكامـــه وفـــي مـــراقبتهم ومحاسبتهم.

الديمقراطية النظيفة هي في أن نصل إلى مرتبة جديدة وإلى وضع جديد لا يستطيع فيه الحاكم أن يستغلنا من جديد أو أن نعود بنا إلى الوراء. كما كانت تفعل بنـــا الحزبيـــة والملـــك والإقطـــاع والاستعمار في الماضي.

هذا هو مفهوم الثورة للديمقراطية السليمة.

ما بعد فترة الانتقال

وبانتهاء فترة الانتقال أصبح علينا أن نختار لأنفسنا نظام الحكم المستقر، الذي نضع فيـــه أســـس حكم يبقى. وحكم يحافظ على ما وصلنا إليه من انتصارات ومن مكانة، ويحافظ أيـــضا مـــستقبلنا ومستقبل وأحفادنا من بعدنا.

ولم يكن مستطاعا بعد أن انتهت فترة الانتقال أن تبقى جميع السلطات مركزة في مجلس الثـــورة، وأصبح الأمر يحتم أن يتولى الشعب كله مسئولية الحكم.

الحكم للشعب.

وجاءت فترة وضع دستور للبلاد، وكان علينا أن نضع في هذا الدستور الطريقة التي يستطيع بها الشعب أن يعبر عن رأيه وأن يشترك في حكم بلده.....

لقد قامت هذه الثورة باسم الشعب وبإرادة الشعب... وانتصرت هذه الثورة في كل ما مر بها من معارك.... لأن الشعب يدافع، ولأن الشعب يؤمن تمام الإيمان بكل عمل وبكل هدف هدفت إليه قيادة هذه الثورة. قامت هذه الثورة لكي تحقق للشعب حكما فعليا يشترك فيها هذا الشعب ويشرف على حكامه ويقول للمسيء أساءت ويقول للمحسن أحسنت.... هذا هو الطريق الذي اختارته الثورة. لأنه أمل في قلوبنا جميعا نحن أبناء هذا الشعب طوال القرون الماضية.

لقد كان حكامنا يتولون أمرنا ويتحكمون فينا ويسيرون أمورنا حسبما يريدون. أما اليوم وبد قيام الثورة فإن الذي يسير أمورنا والذي يسيطر على مصيرنا والذي يتولى تصريف كل أمر من أمورنا لابد أن يكون هو الشعب.

ولكن. كيف تكون الصورة؟!.. كيف يستطيع الناس أن يمارسوا حقوقهم السياسية...؟! في خلال سنوات فترة الانتقال كان مجلس قيادة الثورة يتولى باسم الشعب تنفيذ مطالب الشعب....

والشعب كله يقف من خلف هذه القيادة رجلا واحدا، وإرادة واحدة، وكانت هناك ثقة متبادلة بين الشعب وقيادته وبين القيادة وبين هذا الشعب.

ومن أجل ذلك أمكن في خلال سنوات الانتقال أن نحقق ما وصلنا إلى تحقيقه من انتصارات.

كيف يحكم الشعب

كيف نستطيع أن نفتح للشعب الباب على مصراعيه لكي يتولى مراقبة حكامه ولكي يتولى محاسبة حكامه، ولكي يتولى الإشراف على كل صغيرة وكبيرة في أموره، سواء أكان ذلك في الداخل أم في الخارج.

كان علينا أن نضع الأس لذلك في الدستور. ومن تناولنا هذا الأمر بالدراسة والتفكير، كان علينا أن نوازن بين أمرين اثنين: إما أن نسمح بقيام الأحزاب فترة أخرى حتى يستطيع أن يحكم نفسه بنفسه، بمعنى أن تكون لهذه الأحزاب تكتلات في الشعب وتكون لهذه الأحزاب الفرصة إلى المجيء إلى الحكم وتحقيق البرامج التي تضعها. وإما أن نسمح بقيام حزب واحد لكي ينضم إليه الشعب... ومن خلال هذا الحزب الواحد يستطيع الشعب أن يمارس حقه الطبيعي في كونه مصدر السلطات في البلد...

نظام الحزب الواحد

ذلك أن النظم الموجودة في الكتب تقول: إن البلاد تحكم إما بحزب واحد أو بعدة أحزاب.....

فهل يا ترى تشكل حزبا واحدا ونسميه حزب الثورة ونضم إليه بعض الناس، والذين ينضمون للحزب يشتركون في الحكم ونقول إن هذا الحزب يمثل الشعب.

أن نظام الحزب الواحد نظام موجود في العالم ومعترف به وكان موجودا في ألمانيا أيام هتلر وفي إيطاليا أيام موسوليني وفي تركيا أيام كمال أتاتورك ولكنا عرفنا أنه عبارة عن نظام يهيىء السيطرة لفرد واحد لكي يحكم ويملي إرادته على بقية أفراد الشعب....

دكتاتورية الحزب الواحد

ونحن حين فكرنا في نظام الحزب الواحد اتضح لنا أن نظام الحزب الواحد يعني الدكتاتورية يعني فردا ومعه أناس يفرضون إرادتهم على بقية الشعب كله. يعني رئيس الحزب ومجلس إدارة الحزب الذين يصبحون حكام البلد، ولا يستطيع إنسان أن يناقشهم في شيء. وإذا انضم لهم أفراد من الشعب يصبح الذين ينضمون إليهم ملوكا في هذا الشعب. وبقية الشعب ينعزل عنهم وعليه أن يعمل ويطيع أوامرهم وهذا النظام لا يصلح لنا لأننا رفضنا الطغيان، نحن نذكر عبر التاريخ في تاريخنا كله أننا رفضنا الطغيان التركي أيام أن كان الأتراك يحكموننا، وأرادوا أن يضيعوا قوميتنا فلم يستطيعوا. ورفضنا طغيان الفرنسيين حينما أغار علينا الفرنسيون وقاومناهم وحاربناهم، ورفضنا طغيان الإنجليز وثرنا ثورات متتالية إلى أن تم الجلاء، ورفضنا طغيان الإنجليز وثرنا ثورات متتالية إلى أن تم الجلاء، ورفضنا طغيان الوصوليين الذين كانوا يشكلون الأحزاب ويستغلون الشعب في الحكم وفي الوزارة. ورفضنا يشكلون الأحزاب ويستغلون الشعب في الحكم وفي الوزارة. ورفضنا طغيانهم أسقطناهم جميعا. فكيف يبقى الطغيان بعد الثورة بعد أن رفضناه في مرة أخرى ونجعل ناسا يتحكمون في مصيره. كل تاريخنا نأتي فنستغل الشعب مرة أخرى ونجعل ناسا يتحكمون في مصيره.

هذا النظام نظام الدكتاتورية لا يصلح لنا. ونحن شعب طيب دائما....

ولكن إلى جانب أننا شعب طيب فنحن أيضا شعب نرفض تحكم أحد فينا ونرفض سيطرة أحد فينا حتى ولو كان هذا التحكم والسيطرة لمصلحتنا، نرفض أن يفرض علينا أي إنسان سيطرته مهما كان هذا الإنسان ومهما كان كيانه ومهما كانت قوته.

نظام الحزب الواحد لا يصلح لنا

نظام الحزب الواحد لا يصلح لنا لأنه لن يمثل هذا الشعب. نحن نريد أن يشترك الشعب كله في حكم نفسه في المرحلة الجديدة.. لا نريد جزءا يشترك في الحزب والمسئولية وبقية الشعب لا تشترك لأن الشعب كله هو الذي انتصر في كل معارك الثورة، هو الذي حقق كل الانتصارات. والشعب بأكمله بطبقاته ..بفلاحيه، بعماله، بالطلبة وبالمتعلمين وغير المتعلمين، شعبنا كله هو الذي انتصر في المعارك التي مضت. وشعبنا كله هو الذي ضرب المثل وحافظ على القومية العربية وفتح أمامها الطريق.

لن نكون آلة صماء

ونظام الحزب الواحد يجعل من الشعب آلة صماء... تسمع الأوامر وتطيع فقط ولكننا لا نريد لشعبنا أن يكون آلة صماء. نحن نريد لشعبنا أن يشترك في تدبير أمر نفسه، أن يتحمل مسئولية حكم نفسه.

أن يشترك مع حكامه في تسيير كل شيء يخصه ويخص أبناءه ويخص أحفاده ويخص الأجيال المقبلة. قامت هذه الثورة لأنه كان هناك تحكم وطغيان من الملك ومن الأحزاب فكيف نأتي اليوم ونفرض طغيانا جديدا باسم الحزب الواحد، مهما كان أولئك الزعماء أو أولئك الأفراد أو ذلك الفرد الذي سيحكم هذا الحزب الواحد....

إذن فتنظيم الحزب الواحد لا يصلح لنا ولا نصلح له لأنه يعني تحكم فرد أو هيئة في الشعب كله. ونحن نرفض أن يتحكم فينا أي فرد أو أية هيئة. نحن رفضنا هذا ونحن غير مستعدين ونحن غير مستعدين أن نقبله مرة ثانية...

نظام تعدد الأحزاب

النظام الثاني معناه قيام عدة أحزاب...ويضم كل حزب طبقة أو فئة معينة من طبقات وفئات الشعب، وتتبادل هذه الأحزاب السلطة والحكم.

فهل يصلح لنا هذا النظام.

عندما ناقشنا هذه الفكرة تذكرنا ما كانت عليه الأحزاب في الماضي.

ماذا كانت تفعله الأحزاب في الماضي؟!

إذا استعدنا ذاكرتنا فإننا نستطيع أن نعرف هل يصلح لنا هذا النظام اليوم أم لا يصلح.

الولاء لولي النعم

كانت الأحزاب في الماضي كما ذكرنا عبارة عن هيئات تمثل نفسها فقط. وكانت هذه الأحـــزاب تتشاتم مع بعضها البعض وكل حزب يتهم الآخر بأبشع الاتهامات وكان رجال الأحزاب جميعـــا عند فاروق يركعون ويقبلون يديه ويظهرون الولاء والإخلاص... لماذا ؟! لأن فاروق كان هـــو الذي يمنح الحكم وهو الذي يمنع الحكم. فاروق كانوا يسمونه ولي النعمة. لم يجرؤ أي حزب أو أي زعيم على أن يواجه الملك السابق بالمفاسد والخيانات التي كان يأتيها ذلك الملك، بل كانـــت جميع الأحزاب تتسابق لكي ترضي الملك.

التآمر في سبيل الحكم

والأدهى من ذلك. أن الحزب يتولى الحكم كان يتآمر مع الملك أو مع الإنجليز لكي يـــصل إلـــى الحكم... وفي وسط هذه المؤامرات كانت مصالحنا نحن الشعب تضيع لأن هدف الزعيم أو هدف الحزب هو أن يصل إلى الحكم من أقصر طريق. لذلك ظلت إنجلترا تحتل مصر ٧٤ سنة لأنهـــا كانت تستطيع في كل لحظة أن تتآمر مع أي حزب ضد الحزب الآخر.

ومع أي زعيم ضد الزعيم الآخر .. وهم كلهم ولاء وإخلاص للإنجليز وللملك السابق...

لا شرف ولا كرامة ولا مراعاة لمصالح الشعب.

هذا ما كان يحصل أيام الأحزاب.... الأحزاب تتشاتم وتتبادل والتهم.

وكل حزب يحاول أن يصل للحكم بأي طريق وبأي وسيلة وبغض النظر عن مـــصالح الـــشعب. وبغض النظر أيضا عن الشرف وعن الكرامة.. لذلك كنا في الماضي حين كانت إنجلترا تريد أن تنفذ أمرا في بلدنا كان يكفي جدا أن وزارة الخارجية الإنجليزية ترسل إنذار لمصر أو تقـــول أن مركبا حربية قامت من مالطة في طريقها إلى الإسكندرية... كان يكفي جدا أن تقول إنجلترا ذلك لكي تستقيل الوزارة ويحل البرلمان ويفتش الملك عن زعيم آخر يرضي الإنجليز....

أما اليوم فما الذي حدث، إنجلترا أرسلت فعلا الأساطيل على بورســـعيد، وضـــربت بورســـعيد والقاهرة وطنطا بالقنابل، وبعثت بالإنذارات وهجمت بالأساطيل والدبابات وأنزلت جنودها هـــي وفرنسا في بور سعيد .... واســـتطاع شـــعبنا فعـــلا أن ينتـــصر وأن يـــرد إنجلتـــرا وفرنـــسا مهزومتين....

واستطاع شعبنا أكثر من ذلك أن يحقق أكبر انتصار... كان جمال عبد الناصر زعيم هـذا البلـد يقف حازما قويا باسم الشعب ومن ورائه الشعب كله. وانهارت أعصاب رئيس وزراء إنجلتـرا ، وخرج من الحكم غير مأسوف عليه.

فإذا جئنا اليوم وقلنا أن نظام تعدد الأحزاب هو الذي سيسمح للشعب بأن يشرف علـى الحكـم، ويحكم نفسه بنفسه فنحن نغالط أنفسنا لأننا جربنا التجربة القديمة. ولن نعود إليها أبدا.. لقد وصلنا اليوم إلى مرحلة أكبر... وصلنا إلى المرحلة التي ننتصر فيها على أكبر قوى موجودة في العالم ونحن دولة صغيرة عزلاء، لا نملك سلاحا ولا عتادا مثلهم. ولكننا ننتصر رغم ذلك.

وصلنا إلى هذا لأننا متحدون، ولأن كلمتنا واحدة وإرادتنا واحدة وزعيمنا واحد.

الأحزاب شلة منتفعين

وماذا كانت تفعله الأحزاب أيضا..؟ لقد كان كل حزب عبارة عن شلة من المنتفعـين لا تحـس بإحساس الشعب ولا تشعر بمطالب الشعب. وكانت الوزارة عبارة عن جاه وسلطان وحجاب... لم تكن الأحزاب تعرف أن تعداد السكان في مصر يزيد بمعدل نصف مليون كل سنة وإنهم في حاجة للمستشفيات ولرغيف العيش... كانت الوزارة جاها ومنصبا وحكما، ولم تكن تحس بالمـسئولية أمام الشعب.....

الأحزاب سبب الانقسام

عرفنا إذن كيف قاسى الشعب وكيف وصل الحال بنا إلى ما انحدرنا إليه من انقسام وفساد، ومن مظالم ورشوة ومحسوبية وكل ما أصابنا قبل قيام الثورة، فهل يا ترى نأتي بعـد انتهـاء فتـرة الانتقال ونملأ الفراغ السياسي ونجعل الناس يمارسون سلطاتهم عن طريق تشكيل أحزاب جديدة..

إن الذي سيحدث إذا سمح بقيام أحزاب أننا سنعود إلى الوراء ... وقطعا سنعود إلـى الـوراء .. نعود إلى الخلافات الشخصية، تعود الخلافات الشخصية بين كل حزب والآخر. تعـود المـسألة خلافا على المراكز، خلافا على الحكم، خلافا على المنصب. تعود الأمور كما كانـت وبـذلك لا نستطيع أن نتحمل المسئوليات الملقاة على أكتفانا، ولا يستطيع الشعب أن يمارس سلطاته وإنمـا الذي سيمارس السلطات هو كل مجلس إدارة الحزب، تماما كما كـان الحـال أيـام الأحـزاب القديمة... إنها باسم الشعب تتولى الحكم ولكنها لا تفعل شيئا لصالح هذا الشعب ولا تسمح لهـذا الشعب بأن يعبر عن رغباته الحقيقة، وعلى ذلك قلنا أن تعدد الأحزاب نظام لا يصلح لنا. لأن هذا النظام أيضا لا يحقق الهدف الذي نهدف إليه وهو أن يمارس الشعب سلطاته.. أن يمارس كل فرد

من أفراد هذا الشعب سلطاته الفعلية ويتاح فعلا للشعب أن يرفع صوته وأن يكون له الأمر في تقرير مصيره ....

نحن أكبر من هذا النظام

إذن نظام تعدد الأحزاب لا يصلح لنا.. ونحن أكبر منه. ومسئولياتنا اليوم أكبر بكثير من مسئولياتنا في الماضي. أيام أن كنا شعبا مضغوطا عليه وشعبا مقيدا من الملك، ومن الاستعمار ومن كل الأوضاع الفاسدة التي كانت تفرض علينا فرضا.....

إذن ما الذي نعمله.. ماذا نريد؟!

قلنا أنه بعد فترة الانتقال أي بعد انتهاء السنوات الثلاث كان علينا أن نضع الدستور لكي تعود الأوضاع السياسية الطبيعية إلى البلد.

لماذا خلال فترة الانتقال كانت الأوضاع غير طبيعية... لقد كان مجلس الثورة هو عبارة عن الحكومة وهو بقيادة الرئيس جمال عبد الناصر يتخذ القرارات والشعب من خلف مجلس الثورة لأنه يثق فيه، ولأنه يرى أن مجلس الثورة يحقق فعلا كل الأهداف التي يريدها الشعب. فهو قد صادر أرض العائلة المالكة ليوزع الأرض على الفلاحين.. وفاوض الإنجليز حتى خرجوا من بلادنا.....

كان مجلس الثورة يتولى السلطة فعلا باسم الشعب كان مجلس الثورة يقوم بكل هذا والشعب وراءه. لكن لم يكن هناك تنظيم يصل بين مجلس الثورة وبين الشعب.

الشعب كان يؤمن ويثق في مجلس الثورة يثق ويؤمن بالشعب. ويعرف أهداف الشعب وينفذ هذه الأهداف. ....

وكان لا يمكن أن يظل نظام الحكم الذي تحكم به بلدنا... وهو أن تركز السلطات كلها في يد مجلس قيادة الثورة... وإن يبقى الشعب مؤيدا فقط... وإنما الوضع الطبيعي الذي انتزعناه بكفاحنا جميعا.... هو أننا استرددنا أرضنا..و استرددنا حريتنا. فعندما تعود الأوضاع الطبيعية ونضع الدستور. لابد أن تكون هذه الأوضاع بحيث يستطيع الشعب فعلا أن يشترك في حكم نفسه وفي تقرير مصيره.....

ثورتنا حققت لنا أهدافها الأولى في مرحلتها الأولى.